

## 1647 - ثقافة الحرب: أصل كل الثورات

## تحتمة الوفد

خلال سنة 2010، وفي أكثر من مقال في أكثر من صحيفة، حاولت أن أكتب لأوضح الفرق بين معاهدة كامب ديفيد، الشهيرة بمعاهدة السلام، والتي لا أنكر أنني رحبت بها باعتبارها وثيقة الاستسلام الشجاع المولم الصعب، كتبت أوضح الفرق بينها وبين ثقافة السلام التي رفضتها من أول ثمانية وحتى آخر العمر، وهي التي تحرص عليها تل أبيب طول الوقت.

من البداية أدركت، ولو وحدي بصفة شخصية، أنه بتوقيعنا هذه المعاهدة قد بدأنا حربا طويلة المدى لا تنتهي، لذلك كان اعتراضى طول الوقت على حكاية التصريح بأن حرب 73 هي آخر الحروب، واستبعدت أن يكون هناك بند في المعاهدة بهذا النص، ورجحت أنها من تصريحات فلاحنا المصرى اللئيم "أنور السادات"، حتى "يقصّر ويلم المتكسر"، كما نقول في بلدنا، ويبدو أن الأمريكين قد التقطوا طبعه هذا، فلم يطمئنوا لخطواته التالية، وقتلوه (ولكن دع ذلك جانبا فله حديث آخر وأدلة أخرى).

حين رجحت أن هذا التصريح هو مجرد مناورة كلامية من فلاح منوفى يمارس اللون الفلاحى (يعنى اللؤم باللغة العربية) فى الولايات المتحدة، أعلنت بينى وبين نفسى، وللمقربين منى البدء فى المشاركة فى تعهد نشر ثقافة الحرب، وكتبت فى ذلك كثيرا لأميز بين إعلان الحرب، وخوض الحرب، وبين ما يسمى ثقافة الحرب، وهى العيش طول الوقت فى يقظة متحفزة، وتحد متجدد، وغضب جاهز، وبناء فى كل المجالات، هذه هى ثقافة الحرب، ومع ذلك كلما تكلمت مع أحد فى ذلك، صاح بى: هل تريد أن تخرب بيتنا من جديد ونصرف قوت يومنا ورزق أولادنا الذى نحصل عليه بالكاد على الفلسطينيين والعرب مرة أخرى؟! !!

عاودتتى كل هذه الأفكار هذه الأيام وأنا أفقد ثقافة الحرب طوال العام الماضى الذى يمكن أن يسمى عام الثورة، من أول ميدان التحرير حتى مجلس الشعب الجديد، وقبل أن أشير إلى ذلك اسمحو أن أكرر بعض ما حاولت إيضاحه قبلا:

العيش طول الوقت  
فك يقظة متحفزة،  
وتحد متجدد،  
وغضب جاهز، وبناء  
فك كل المجالات،  
هذه هى ثقافة الح

"ثقافة الحرب هى  
حالة الوعد التحد  
تلزمتنا بالوقوف طول  
الوقت فك حالة  
استعداد دائم، بل  
وإقدام جاهز للحرب  
المستمرة بكل  
أشكالها

كتبت ف 5 مايو 2010 في تعة الدستور ما يلي:

**ثقافة الحرب** هي معايشة برنامج "البقاء التامري" بدرجة ما من الوعي، وهو البرنامج الذي حافظ على جميع الأحياء التي نجحت أن تبقى حتى الآن". .....

**ثقافة الحرب** هي حالة الوعي التي تلزمتنا بالوقوف طول الوقت في حالة استعداد دائم، بل وإقدام جاهز للحرب المستمرة بكل أشكالها، ليس فقط في مواجهة هذه النلة الطاغية (من الجيران المتوحشين) ، ولكن لنحارب معا كل القوى التي تهدد بقاء الجنس البشرى "معا".

**ثقافة السلام** (بغض النظر عن معاهدة السلام، أو وثيقة الاستسلام) هي أن نتخدع فنصدق أنه لم تعد بنا حاجة إلى شحن وعينا طول الوقت بأنه على بعد خطوات منا وحش مفترس، يملك سلاحا ذريا، ودعما دوليا متآمرا، يقتلنا ويطردنا يوميا من فوق أرضنا ثم من فوق الأرض كلها. المطلوب منا - حتى نعيش ثقافة السلام !!- هو أن نسترخى، ونأخذ بالأحضان هذا الصديق الجار المسالم الذي يحتفظ بالقنابل الذرية ليرصها ديكورا في صالات المفاوضات، ويزين بها ممرات محافل مؤتمرات القمم العربية.....

ثم حاولت في الأسبوع التالي في نفس الصحيفة أن أؤكد التفرقة بين ثقافة الحرب وخوض الحرب وإعلان الحرب قائلا : (أن) ...أكره الحرب كره العمى، عادى، وفي نفس الوقت أدعو ل: "ثقافة الحرب" التي هي ليست "فعل الحرب"، ولا هي "حب الحرب"، ولا "اختيار الحرب"، ولا "إعلان الحرب"، ... وشعرت من الأصدقاء وبعض القراء أن الأمور ما زالت غامضة، فاستشهدت بصلاح جاهين في ربايته التي يقول فيها

على رجلى دم .. نظرت له ما احتملت  
على إيدي دم .. سألت: ليه؟ لم وصلت  
على كتفى دم وحتى على راسى دم  
أنا كلى دم .. قتلت؟ .. والا انتقلت؟  
(وأیضا:)

من بين شقوق الشيش وشقشقت لك  
مع شهقة العصافير وزقرقت لك  
نهار جديد أنا .. قوم نشوف نعمليه  
أنا قلت يا ح تقتلنى .. يا ح اقتلك  
ثم أضفت:

البديل عن "ثقافة الحرب" وهو المطروح على الوعي العربى حيث يقع الوعي المصرى في بؤرته، هو ما يسمى "ثقافة السلام"، ولا أقصد معاهدة السلام (أكرر: التي

إن عدم توجيهنا  
ثقافة الحرب إلى  
العدو الحقيقي  
يجعل العدوان يرتد  
إلينا فنمارس ثقافة  
الانتحار بالقتال فيما  
بيننا. إن لم ننتبه  
إلى صاحب  
المصلحة المحتمل فك  
نشر كل هذه  
الفوضى، ونحن  
نستجيد أولويات  
المستفيدين من  
خرابنا وفرقتنا فلا  
ثورة، ولا نهضة، ولا  
حضارة

ثقافة الحرب هي  
التي تستوعب  
طاقة الغضب فك  
عدوان بناء، وهي  
غير وعدنة القتل،  
وأیضا غير صرخات  
الثأر، بل هي ضد  
كل هذا

أبدتها بكل وضوح، وأنا ممرور بكل قسوة)، المطلوب بما يسمى ثقافة السلام هو أن نتأخى مع عدو يحمل لنا كل هذا الاحتقار والتهوين، وهو يحتفظ لنفسه بكل الفخر الآتى والتاريخى، والتميز الدينى، والقنبلة الذرية وأدوات التجارة والاستغلال، نتأخى معه لأن هذا هو غاية المراد من الهزيمة فالمعاهدة معا حسب توصيات سادة العالم، ليستمروا فيما هم فيه وأكثر وأثرى وأعتى، ونستمر نحن فيما نحن فيه وأذل وأدنى، والاسم "سلام". نجيب محفوظ بمجرد أن أعلن موافقته على معاهدة السلام، بدأ فعلا حربا أخرى وفورا، ..

تحرك داخله الإبداعي ليعلن بداية الحروب التى لا تنتهى (عكس ما أشيع أن حرب 73 هى نهاية الحروب) فكتب رواية ليالى ألف ليلة" التى قمت بنقدها بعنوان "القتل بين مقامى العبادة والدم" ..

ثم حدث مؤخرا ما حدث: قام الشباب ببدايتهم لعمل ثورة فى 25 يناير 2011، قلت هذه بداية صحوة ترجعنا إلى ثقافة الحرب، لكننى حين رحمت أبحث عنها وقد افقدتها منذ عقد معاهدة الاستسلام القوى المؤلم التى كانت -عندى- مرادفة لإحياء ثقافة الحرب، رحمت أبحث عنها فيما جرى مؤخرا فلم أجدها بالقدر الكافى، بل حلت محلها حروب صغيرة قبيحة هى ثقافة النقاتل بين أفراد وجماعات نفس النوع، وليست ثقافة الحرب للبقاء، وكان آخر ذلك حين تعرت البدائية فى بور سعيد، بما لا يحدث أصلا بين أى فصيل وآخر من الحيوانات من نفس النوع، وسبق هذا ولحقه بعض ما حدث فى ماسبيرو والعباسية ومحمد محمود ومجلس الوزراء ، هذه ليست ثقافة الحرب بل ثقافة الثأر والفناء والانتحار، فكتبت فى جريدة المصرى اليوم الخميس 2011/5/5، بعنوان ثقافة الحرب و"مليونية التحرير ما يلى :

" ..... لمصلحة من نطلق كل هذا العدوان على بعضنا البعض حكومة وشعبا؟ وهل كان هذا مدبرا من البداية؟ " ... "رحمت...أسترجع الهتافات والشعارات بدءا من ميدان التحرير، وحتى مسجد النور، امتداداً إلى قنا جنوبا والإسكندرية شمالا، ولم أجد بقدر كاف ما يذكرنا بالعدو الحقيقى، أو يشرح موقفه، أو ينقده، أو يعدد ما سوف يعود عليه من فوائد من حصيلة كل هذه الفوضى غير الخلاقة، والحروب المحلية غير الأخلاقية والخراب الاقتصادى الزاحف.

ولكن أخيرا عاد نكر إسرائيل يظهر فى زيار هنية للأزهر منذ أيام، وفرحت، لكننى خشيت أن يكون ذلك بمثابة التحية الواجبة لا أكثر، ورحمت أمنى نفسى أن تتقلب الهتافات إلى ثقافة تشتعل ولا تهمد، فتظل الصحوة جامعة، لأن الخطر محيط وزاحفا؟ إن عدم توجيهنا ثقافة الحرب إلى العدو الحقيقى يجعل العدوان يرتد إلينا فنمارس ثقافة الانتحار بالنقاتل فيما بيننا. إن لم ننتبه إلى صاحب المصلحة المحتمل فى نشر كل هذه الفوضى، ونحن نستعيد أولويات المستفيدين من خرابنا وفرقتنا فلا ثورة، ولا نهضة، ولا حضارة.

ثقافة الحرب هك  
وعك جماعك حاد  
بتهديد البقاء أصلا،  
بما يستلزم أموين:  
فرط الانتباه، ومثابرة  
الفهل، ويبدأ فرط  
الانتباه بتحديد "من  
هو العدو  
الحقيقى"، ومن يقف  
وراعه، وكيف يهجم  
تحطيمنا بدما  
بالتزويج لثقافة  
الاسترخاء، وليس  
انتهام بالفوضى  
العشوائية المهذمة  
للذات

برغم ما لاح في الأفق بهذه الزيارة التي فرحت بها فرحا حذرا أذكركم مرة أخرى باختفاء اسم إسرائيل من الميدان والشارع إلا ما ندر، مقارنة بتقديس قيم وطقوس الدين العولمي الجديد، تحت مسميات مستوردة مثل الديمقراطية المشبوهة، والمنظمات الممولة؟ لماذا تتكرر التصريحات من أغلب مسؤولينا من أول رؤساء الوزارات إلى المجلس العسكري، إلى مرشحي مجلس الشعب، إلى مرشحي الرئاسة، وأخيرا إلى مجلس الشعب نفسه بالتعهد بالالتزام بالمعهدات الدولية جدا جدا؟

بحثت عن ثقافة الحرب بالمعنى الإيجابي في ميدان التحرير فلم أجدها كما تصورتها في كل كتاباتي عنها، ثقافة الحرب هي التي تستوعب طاقة الغضب في عدوان بناء، وهي غير وغدنة القتل، وأيضا غير صرخات الثأر، بل هي ضد كل هذا. أكرر: "... ثقافة الحرب هي وعى جماعى حاد بتهديد البقاء أصلا، بما يستلزم أمرين: فرط الانتباه، ومثابرة الفعل، ويبدأ فرط الانتباه بتحديد «من هو العدو الحقيقى»، ومن يقف وراءه، وكيف يهيمه تحطيمنا بدءا بالترويج لثقافة الاسترخاء، وليس انتهاء بالفوضى العشوائية المدمرة للذات.

كنت أنتظر أن تحفزنا مثالية الشباب إلى العودة لقبول التحدى أكثر فأكثر فى مواجهة عدو حقيقى يذكرنا بالخطر الحقيقى، حتى لو كان علينا أن نتخلص من الفساد تماما، وهذا واجب لا غنى عنه، لكنه لا ينبغى أن ينسينا أن العدو الأول هو العدو الأخطر.